رُتَيْلاء

أنسجة نثرية في مغاور مُهمَلة

شــعر

رُتيْلاء

أنسجة نثرية في مغاور مُهمَلة

شعر

الطبعة العربيّة الأولى، 2003

برلين، فايمر، هاسبرد، النّاصرة 1998 - 2003

لوحة الغلاف محمد شقديح / خطوط الغلاف: محمد أبو عزيز

دار الجليل للطباعة والنشر

عكا – شارع صلاح الدين

Tarentule

Miscellaneous tissues in neglected caves

First published in 2003

2nd Publishing 2010

الطبعة الثانية 2010

دار جبران للنشر - الناصرة

Gibran Publishing

Publishing Literature and Music Online

https://gibran-litr.org/poetry

وسام جبران

رُتَيْلاء
أنسجة نثرية في مغاور مُهمَلة

2010

ISBN: 965-222-909-5

"من أفق الموسيقى، حيث الطّبع والطبيعة لباسٌ واحدٌ ونشوةٌ واحدة، يجيء وسام جبران إلى الشعر، وهذا مما أتاح له أن يُعيدَ اكتشاف اللغة الشعريّة، بدءاً من جذورها في الكلمات والأصوات والأشياء.

يجيء إليه كذلك من خارج الهموم السياسية واليومية، المباشرة، ومن خارج لغتها الشعرية الوصفية، منحازا إلى المسار الصعب، مسار البحث والسؤال.

ولعل هذا مما جعله يعيد التوكيد على الهموم الكيانية المصيرية، لا بالنسبة إلى الفرد وحده، بل بالنسبة كذلك إلى الجمع، وأن يبتكر مفرداته وتراكيبه في توترات وإيقاعات مميزة، تنأى بع بعيداً عن اللغة الشعرية العربية السائدة، حتى لتبدو اللغة عنده أشبه بدويّ صاعد من أغوار تكاد أن تختنق، أو كمثل هدير في حنجرة بركان يكاد أن ينفجر.

أظن أن في هذا المجيء المزدوج ما يضمن لكتابته أن تكون وعدا بإغناء الكتابة الشعرية العربية على نحو نادر وخاص".

أدونيس

التاريخُ فعلٌ. الخُرافةُ رغبةٌ.
التاريخُ سَهمٌ يجرُّ ريشَه المنتصر فوق أوراق الزمن المتبقي.
الخرافة حلمٌ يُسابق الريح.
الريح صحوة، هكذا همس خريفٌ بعد حريق صيفٍ طويل.
عند باب مغارة نسجْتُ خيوطي وانفتحتُ على مستقبلٍ، اختلطتْ فيه الخرافةُ بالتاريخ، وكنتُ الرغبة، وكنت الفعل، وكنت الشاهد الوحيد.

التاريخ حكاية وجود
الخرافة حكايةُ نفوذ

رُتَيْلاء

تحية
إلى المستقبل، وإلى كلّ قارئ لم يولد بعد

مغارة الكيمياء

مغارةٌ تتنقّل من منفى إلى آخر على قُشران جرادهْ. تنمو بين خلايا الدّماغ. تتغذّى من نُسغ كيميائها العجيبة. تتزاحمُ اللغاتُ والجهاتُ. الغبار عباءةٌ تخبّئ بصماتها في جيوبها.

أصابع تتحرّك ببطءٍ فوق غَضْبَةِ أوراق صفراء بلون رغيفٍ ساخنٍ يُشاكسُ، فوق مائدةٍ إلهيّةٍ داكنة، الجوعَ العالق في حناجرها المتبدّلة.

تذكرُ. حين وُلدَتْ. للمرة الأولى. كتلةً لحميّة. تاركةً جميعَ حواسها خلفها.

تذكرُ. وحده الجلد جسرها إلى الضّوء. أطلَّ. بدءًا. من نُفقة الجسد الأمّ. الدّماغ الحيّ. جارًّا خلفَه باقي الأعضاء. ولج إلى نُدحة الدُّنيا. التفت نحو الخلف. رحمٌ يتلمّظ وجهًا غضيضا. قابع في حَرقَفة سريرٍ لزج. يتقيّأ المنظر. نحو الأمام.

يتدحرج.

الآن. المتذبذب أبدًا.

أتذكّرُ (تُثني رُتيلاء). فقاعاتٌ تتصاعدُ منّي. تدور خارج مداري. لا تفارقني. تشدّني نحو اللحظة الأولى. لم أتفق مع الذاكرة على تحييدها بعد. تُحوّم في مركز دائرتي. تنحرف قليلًا إلى لا أين. متردّدهْ. ثقيلهْ. غيمة مُستحْبِرَهْ. هُلاميّة الهويّة والمصير. تستقبلني حينًا. وحينًا تنتزعُني. تسبقني بُرهةً في حركةٍ دورانيّة. تُغافلني من الخلف. تنادي:

أيُّها المسافر إليّ امتطيني

وحين أتعبُ نتبادلُ

نُسلّي أرواحَنا حتى يتعثّر أحدنا بالآخر.

مرةً ثانية التفتُّ إلى خلفي. لم أرَ غير الطريق أمامي وضفدع يقفزُ هاربًا مع الحصى المتطاير من قوائمي.

الكونُ مغارةٌ. مخبأٌ

أحمي عتمتها بحبر المنتصرين

أنسج خيوطَ الخرافةِ في عباءة التاريخ

الخيط الأول

أفقٌ يتّكئ على غيمٍ

أفقٌ يتّكئ على غيمٍ ۞ يُطلُّ من نافذةٍ عليه ۞ وجهٌ رثٌّ ۞ أختنقُ ۞ لا حلفاءَ للضوء خارج الضوء ۞ بصقَ الكونُ الأرضَ ۞ الثّقبُ أبعد من السّواد ۞ الثّقبُ شبكةٌ ۞ الأرضُ طُردتْ من شيطانيّة "لا" ۞ الأرض انحنت ۞ السّماء تقضْبَنت ۞ السّماءُ تسفُد أدمغةَ الطّحالب ۞ غازُ الخطيئة يتمعدن ۞ السّماءُ ترقص التانغو مع حوت الوقت بعد أن أفرغته من أوقيانوس الذاكرة ۞ تحلبُ الرّملَ ۞ تُرضِعُ نيويورك ۞ يتدلّى الفضاء الآخر في حلمة الترهُّل ۞ الله يختبئ ۞ يستحي ۞ لا ثياب للوهم ۞ لا خمار للوساوس ۞ الله عبدٌ أسود يُساق يُسجنُ يُقهرُ يُخصى ۞ أنثى تنجبُ نحو الداخل ۞ الموتُ قوّة الحلم ۞ الجنين كوّةٌ في تضاريس الزمن ۞ تتساقط الطحالبُ من ثُقبٍ يبتلع النجوم ۞ الثقبُ أبعد من لون الإله ۞ الثقب تحالف الخيوط ۞ الضوء عادةٌ سرّيّةٌ يجهلها الليل ۞ بصق الكون الشهوة ۞ حجابٌ يسرق نهدًا ۞ يمصّه خلف جدارٍ مقدّس ۞ نظر الغيم أرضًا أغمي عليه ۞ الأعشاب لا تنبت في السّماء ۞ بديهيّةٌ تستمني تبصق ترتخي ۞ أختنق ۞ لا إله للإله كي يصلي ۞ من التراب إلى التراب انحناءٌ ۞ رياضيّات النّفس نسَقٌ بلا هيكل ۞ الصلاةُ فضيحة العصر ۞ لا حليف للضوء داخل الضوء ۞ غيمٌ يتّكئ على أفقٍ ينسخ قوانينه على أجنّة سائفةٍ ۞ الله امرأةٌ ۞ جدارٌ يبكي ۞ حقلُ طحالب ۞ فزّاعةٌ ۞ محضُ "نعم" ۞ لا منفد للعقل إلى العقل ۞ الشّطح سراطه ۞ لا غشاء للصمت ۞ إلى أين إذًا؟ ۞ الغناءُ في خطر ۞ الأفق كاتم صوت ۞ حنجرتي مُرضِعةٌ ضاعت في زحمة الآلهة ۞ الموسيقى دالّةٌ زمنيّة ۞ غنائي حفّارٌ يُشاكس هامش العصر ۞ امرأةٌ جفّ الشّمعُ بين فخذيْها ۞ أفقٌ يتّكئ عليّ ۞

وجهٌ

تحوّلاتُ مُشوَّهٍ

يستديرُ صدرٌ ترضعُ رئةٌ أكسيدَ الحليب

ثُلومُ الصّمتِ علامة صراخٍ يولد

وجهٌ

سوادُه نافذةُ وحيٍ

خصادُ الشمسِ جدلٌ بين الضوء والتراب

لغةُ بناءٍ أبجديّتها خراب

وجهٌ

معفّرٌ بسماء الأمس

ماذا يقول للأرض

حين يُواريه التُّراب؟

وجهٌ

معراجه السّقوط

ينحدر من عين الجسد

يصبُّ في نفسِ العين الأخرى

حجابٌ
يقلبُ صفحاتِ الوجه
باحثًا
عن معنى لاسمه
لا شيء غير الغياب

نافذةٌ
حُبلى بالضوء
ليلٌ يحومُ
مُزمَّلًا بالانتظار والفضول
ولادة نجمٍ ربما تطول

حجابان
حوار العتمة مع ذاتها
أقفلا جسد اللغة
عائديْن إلى قبرٍ
مفتوح على الأبد

خرافةٌ
عتبةُ بحرٍ
يرسمها الموج ويمحوها
في كتابٍ مُقدّسٍ
اسمه الرّمل

تاريخٌ
حطّابٌ يقطّعُ الأممَ
بفأسه التناسليّ
امرأةٌ
حُبلى بالشّعوب العاقر

خوفٌ

رُتيلاء العراء

نزلتُ إلى سوق التاريخ. عاريةً. أبتاع ساعةً قادمةً من نبوءة. أقيسُ الأشياء بجِلدي. أزيّنها بعظامي. أتحسّسها بأظافري. أتعبُها. تَتْعَبُني. أجمعها. تُبعثرُني. أهربُ. تتمسّك بظلّي. التصقُ بي. مزيدًا. أنتزعني. جِلدةً جَلدةً. مزيدًا. ألتصق بحجمي الجديد. أتوه قليلًا. أعتادُ. ربما أعتاد. الهاربُ لا يفكر بالهرب. يبحث عن متاهته. يجدُها فتضيّعُه. تقهقه. الجلدُ يتّسعُ والعُرْيُ. التاريخ منزلٌ للضّياع الحرّ. لا شبابيك. الجدرانُ اختفت في حادثٍ متواصل الغياب.

لا سبيل للضّياع
توقّفت قليلًا لأدقّقَ في التّيه. الشمسُ تمسحُ عَرَقي. ظلّي يُراقبُ جبيني. غادرَني انعكاسي الرّطبُ ونام مع جسدٍ يكبرُني عُمرًا وعُريًا اسمُه الليل.
استرحْتُ.
يرشَحُ جسدي خجلًا.

خائنةٌ أنا.
: غادرْتُ فيئي ونمتُ مع الشّمس فذابتْ.

حبّي جليدٌ الأنهارُ سالت نبتَ الزّرعُ كان الثمر تنفّسَ
الهواءُ بيعَ في أسواق التاريخ المُغلَقة: (أيّامُ الأسبوع لم تُخلق بعد).

أغلقتُ عينيّ. تأكّدتُ من قُدرتي على فتحِها. فشل الليل رحل الظلّ ثانيةً
ساحبًا معه جِلدي.
خائنةٌ أنا ومتّسِعهْ

من تيهٍ إلى تيه. من يضبطني في جسدٍ اسمه السّفر؟ أعتادُ أتروّضَ. يصير
السفرُ وطنًا يصير الجِلد شهوةً والجسدُ جوعًا.
أبقى عاريةً لأنني الأفق

أتدثّرُ بأحراج الكلمات. أعقِلُ نومي بجذوع الصمت وأصحو. أبحثُ عن حلُمٍ فلا
أجد في صحوتي غير حبالي مرخيّة تلهَثُني
تلهثُني
أختنق

أعلُكُ التاريخُ بأقدامي. أمنحه بريقَ أنيابي. أبصقُني أتحرّرُ من لُعابي. أفتجعُ نشوتي لأصحو. أُطَفْلِنُ جِدِّيَّتي المُثقلة بشيخوختي. أعلكُني أمنحني بريق عطشي.

فكرتي أبعد من السّواد من اللغات.

خوفٌ.

الخيط الثاني

أفقٌ تلعثم

أفقٌ تلعثم ۞ نملةٌ تسمعُ ظمأ الكون ۞ أنتِ جرّتي ۞ عطشٌ ۞ كلّما لامستْني عُيوني أنعي سمائي ۞ أوقن أنني شيئان مختلفان أو ربما أكثر ۞ أستقرُّ في انفصامي ۞ أقول لزُرقتي بشيء من الشكّ: واثقٌ أنا من شرقي واثقٌ أنا من غربي ۞ أدور ۞ أتسامى ۞ أتأرّضُ ۞ أفقدُ مداري ۞ أحرِفُ يقيني ۞
مَن يقيني سوى الشكّ من الشكّ؟

عطش الكون أنا النّجومُ نبيذي ۞ شفاهي ۞ كأسي الدّماءُ ۞ حطبٌ ۞ القفل يُعرّشُ الشُّعورُ اللاشعور الاختلاف الإخلاف الأرض ترتعشُ تنقلبُ جرّتي أقبضُ على انفصامي شرقي يغرُبُ غربي شرنقةٌ أتأرّضُ أفترشُ السّماء ترفضني اللا-أرضُ ۞
فقدتُ وجودي ۞ عثر عليّ التيه استوطنتُه ۞ جبلتْني فكان الله ضَرورة لاستعادة خروجي من خرافة ترتقُ خرافتي ۞ زبائني ملائكة اللغاتِ خدعاتها فنونها استعاراتها ۞ خسر دمي أجساده ۞ اتّحد انفصامي فقدته ۞
رُتيْلاء أنا بين التاريخ والخرافة أنسج بخيوط أجيجي على باب مغارة وَهْجي ۞ تلعثمَ الأفقُ فاستنطقْتُ صحراء جهله ۞ تلعثم الرّملُ استنطقْتُ السّيفَ ۞ تلعثم السيفُ استنطقتُ النبيذ ۞
: في اليوم السادس سكبْتُ للتاريخ كأسًا ۞ محوتُ السابعَ ۞ استرحْتُ ترسّبتُ خجلًا ۞ كانت الخرافة جالسة عند حافّة سريري تقلّم أظافرها وتبتسم ۞ في اليوم التالي حِكْتُ لها عباءةً جديدة ۞

وجهٌ

التفع خمارُ النور

اعتزلَ النّظر

وجهٌ

يُطلّ من خِيام القهوةِ

يُمعن في فناجين الأنبياء

يُفسّرُ لقطعانِ المادّةِ جداول الكيمياء

وجهٌ

يُسابق خريفَ الأوراق

يضحك للريح لعابُه شتاء

من يكشِفُ سرَّ العلاقة بين الطين والدّماء

وجهٌ

ينحني لنهديْن

يَرْشِحُ جبينُه لبنًا

وانتماءات

حجابٌ
يُبصبصُ من ثُقب الجسد
يُطلِقُ سَهمَ الشّهوهْ
أعمى يُرتّب النُّجوم
في نبوءة قهوهْ

نافذةٌ
يضربُ الانتظارُ خيامَه
على حافّة التأهُّب
قفلٌ يُبشّرُ بانفتاح

حجابان
ينسجان للغياب ثوبَ زفافٍ
كلٌّ بيد الآخر

خرافةٌ

حبرٌ يُخنخنُ فوق أوراق

تساقطت

من خريف إله

تاريخٌ

أرضٌ عُرفُها حذاء

الكونُ ديكٌ ينبحُ

قُطعانُ دجاجٍ تقرقرُ في أمعاء الزمن

لا شيء غير الغبار حين تنطِقُ الأرضُ بلغةِ السّماء

خوفٌ

أين الرأس؟

مزيدٌ من السّحر
أطعموا الخِراف
الصّمتُ زاويةٌ تتلوّى في غرفةٍ حميمةٍ سجادتها مُترعةٌ بالسّجود
(تخلّى السّحرُ عن صمته كي لا يُكشَفَ أو تعلو بنفسجهْ)
الزوايا قِبابٌ

المربّعاتُ انحناءٌ فَرُغَ. نكوصٌ مُتخمٌ بالألوان. انعكاسٌ يُخلخلُ المرآة. الفضولُ لعبةٌ بكتيريّة.
السِّحرُ هو السِّحر. الشِّعرُ مِعطفه. الموسيقى ملابسه الداخليّة حتى شراينه المجهريّة. الصّورُ فراغُه الجائع.
الجدارُ قُدّاسٌ. متاهةٌ. جوعٌ يقضِمُ عِظامَهُ. يطحن كلَّ نغمةٍ تتفتّتُ بين رُكبِ عجْزِهِ. هكذا يصنع لحمه بحثًا عن مرضٍ يتحرّك. عن فكرةٍ خبيثةٍ. خوفٌ يتكشّف عن سُلحفاةِ الوقت. نخلةٌ تتمرّن على السّجود. رملٌ ضاقَ ببحره.
مزيدٌ من السّحر.

فقد السِّحرُ صدره كي لا يختنق. فقد رأسَه كي لا يعي اختناقه. فقد رجليْهِ كي لا يجد الهواءُ سبيلًا إليه. فقد يديه كي لا يمدّ له الغيمُ معونةَ السّماء. فقد عضوَه الجنسيّ كي يُحافظ على شهوته. كلّ شيءٍ ما عدا الموت البطيء

إلى الوراء ⟵ كيمياءٌ سماويّة تسْتنِضّ البشرَ تستقطرهم تصوّلهم

بين الرئة والرئة مساحةٌ لكلمةٍ واحدة. واحدة فقط. لا معنى لها إلا إذا جُمِعَت اللُّغات كلّها.

تتسرْطَنُ الغرائزُ لكنّها تبقى في حجم البداية. الحضاراتُ تموتُ قُدُمًا. تخترع لكلّ نهايةٍ بداية. نحو سقوطٍ طَموحٍ وكارثةٍ حُرّة.

ما هو اللا-سِحرُ؟

هو كلّ شيء.

فما هو السِّحرُ؟

لا شيء.

الموتُ فعلٌ غائبٌ لا ضمير له.

الدّودُ لم يتخلّ عن مهنته الدائمة في شركات الموت العالميّة. هنا هناك بينهما بعدهما أسفلهما قُبولهما رفضهما. لا شيء يجمعنا غير الموت. فلنفترق إذن. ولنمتّعِ أنفسنا بهذا الفُراق الحيّ. نبني لنا مُدُنًا بلا أعمدةٍ أو عظام. نُحيط المعاني بأسوار الكلام.

المعرفةُ قبرٌ لكلّ بعثٍ ↑↔↓

أين الرأس لأتحرّرَ من العقل؟

وألعبُ

أحفُرُ

الخيط الثالث

أخبيء الوقتَ

أخبيء الوقتَ بين فخذيّ ۞ أحميه من الشّهوة ۞ لا يعرف الموتُ طريقًا إليّ ۞ الموتُ المتواجدُ في كلّ مكان ۞ الانتظارُ حليفي ۞ أخبيء الوقتَ في الدّفء ۞ أحبُّ السّجودَ يلعقني أنا الأرضُ الأنثى:

تفتحُ الأرضُ رجليْها فأخصِبْ
باسمِ أرضِكَ التي تُحبْ
وأنجِبْ
حياة ترضعُ الصّخرَ
تُشرقُ لا تتشرْنقُ
تغرُبُ لا تغتربْ
تفتحُ لك الأرضُ رجليْها
فانتصِبْ

أخبيء الوقتَ ۞ ألجُ إلى رحمه ۞ أتزلّجُ أتدبّقُ ما تبقّى فيَّ من آتٍ ۞ أدعو الحبَّ إلى وليمة الخيانةِ الأخيرة ۞ أعلنُ الآتي ۞ أستحْلِفُ الضّوءَ ألاّ يفتق الآن نسيجي ۞ العتمة كيمياء المرحلة ۞

وجهٌ

يبري غروبَ عينيْه بشفرة اليقظة

يستأنف رسالةَ الجُرح المنفتح على الشرق

وجهٌ

يبصقُ التاريخَ وثنًا وثنا

بفمٍ مُتخمٍ بالجوع

وجهٌ

بحرٌ مُحاصرٌ برماله

غَوْص الذات في الذات مخرجٌ

وجهٌ

هاربٌ من عينه المفتوحةِ إلى عينه المُغلَقة

جاذبيّةُ العتم أقوى من جاذبيّة الاختلاف

حجابٌ
النومُ مِهنةٌ
الصّحوةُ ضريبة

نافذةٌ
لا يصحو الضوءُ إلاّ
حينما الليلُ يغفو

حجابان
يسأل أحدهما الآخر:
هل يعرف الضوءُ ما ينفينا فينا؟

خرافةٌ
تُحيكُ للتاريخ ثوبَ عُرْسِه
تغفو
في جيوبِه
تطرّزُ المناديل لنزيفه

تاريخٌ
أمّةٌ لا يجمعها سوى وطن واحد أوحد
اسمه المنفى

خوفٌ

لو أكونُ لكنتُ

آذانٌ.
بقليّاتٌ تتكاثر نحو الداخل. حروفٌ تتكاثر كالدُّبلة في أفواه العماء. أكثر تعقيدًا أنا مني من قُدرتي على فكفكتي. أكثر ضياعًا من بُقعة زيتٍ سقطتْ حلُمَ أوقيانوس فوق منفى. لا صوت يكوّنني. وحده الصّمت ضجيجي وانفعالي. ولادتي رغبةٌ غيري: تتجاهلني. تجهلني. حلمٌ خارج منامي. جنّة تدفعني لافتراس وحوشها. تطردني. لغةٌ تبحثُ عن أسمائها ومعانيها فيَّ.
كيف وأنا التّيه؟

هو المنفى بيت التاريخ الأبديّ.
ها أنا أشرح جهلي مُفَصَّلًا لأفواهٍ ذكوريّةٍ لا تعرف غير الدّهشة. لقمةً لقمة أخسر جسدي كي أتجسّد. نفسًا نفسًا أختنق لأحيا.
تفقّدتُ جميع المعاجم واللّهجاتِ. حفرتُ في الأشياء كلّها بحثًا عنّي. بقيتُ عاريةً حتى غضاريف سمائي.
الصّمتُ. وحده الصّمت أفقٌ مفتوحٌ على جميع الجهات. وحده عقيدتي وعُقدتي. قُدرتي وعجزي في آنٍ معًا.
أكونُ حين أتفكفكُ وأُفكفك جديدي.

لو أكون لعرفت كيف كنت كي أكون خيطًا في نسيجي.

[في غابةٍ لا تُنبِت غير الرّمال بدأت قصّتي على ظهر ناقةٍ مصحوبةٍ بشمسٍ تجرُّ غيمةً تجرُّ ظلًّا يجرّ استراحةً تجرّ تأمُّلًا يجرّ خُرافةً تجرُّ الوقتَ يجرُّ قصّتي على ظهر ناقةٍ مصحوبةٍ بشمسٍ تجرُّ غيمةً تجرُّ... ... ...

... ...

... فكُنْتُ...

الخيط الرابع

ما تبقّى من أنبياء

مُحاطةٌ لا زوايا ۞ الأرضُ قُبّةٌ تُقَعّرُ الأرضَ ۞ مُخاط شيطان ۞ أطوي دماغي أنحني ۞ يدور الثّورُ الماءُ ينزفُ ۞ الصّمتُ وترٌ أعزف ۞ الذكرى حجرٌ يعرقُ ۞ تبعْثرتْ حُموضةُ الحنين ۞ عرشٌ فوق ماء ۞ رمّانةٌ ۞ السّاعةُ هُيْجُمانة ۞ لا أنكِرُ الكرْمَ الساقط من خريفٍ أتململُ في سلّته برتقالةً ۞ الطموحُ مربّعٌ كلاسيكيّ تحت كثافة الغيم ۞ الطّهارةُ نابٌ ۞ الحلمُ تجاعيدُ جنينٍ فوق وسادة صيفٍ تستغفي شاعرًا ۞ إبليسُ فتاةٌ تلمّع أظافرَ قدميْها بسائل الرّجال ۞ تنتعل الرّفضَ ۞ المغامرة عادةٌ يومية يمارسها السرُّ داحيًا أرضَ التّجرُبة العنيدة ۞ البحر يتقيّأ رأسَه ۞ الجوعُ زوجةٌ هربت ۞ الجحيم يبدأ من العيون ۞ النارُ دمعه ۞ الخريف يسقط ۞ الآلهةُ حُفاةٌ بالوراثة ۞ الحذاءُ خطيئة الأرض ۞ أنكرتني الفصولُ ۞ صرت خامسَتها ۞ لم أتكرر ۞ الكون يمتدُّ بين شفتيْن ۞ الجوعُ أنثى أو لا منتمي ۞ الرعشة تستحي ينجو الخوفُ ۞ وحده الخجلُ حصننا المصيدةُ تحرسُ الجسدَ ۞ النّزيفُ علامة حياة ۞ الحياة خُثار الأرض ۞ الغابة عمياء ۞ الوقت زوجتي أليافي مغارةٌ صدى ۞ الوحي رطوبةٌ ۞ الكلمة عصا تشقُّ ۞ الإله كائنٌ برمائيّ ۞ الزفير يبتلع الشمس ۞ الداخل يغلي النار فكرةٌ الصّمتُ طينٌ لازِبٌ ۞ الوحي اغتيالٌ بطيء ۞ الوجعُ الإغماضُ لامبالاة الزّفير ۞ يحمون النومَ من النوم ۞ النوم الذي لا ينتهي ۞ الزمن صفرٌ ۞ عُنواني ثُقبٌ أسود ۞ ما الفارق بين شهرزاد والخوف ۞ ذهب الحلم أدراج النوم ۞ أتسلى بلملمة رُفاتي ۞ أهزّ الوحيَ وأغفو ۞ الجدارُ يُتكتكُ أصحو على إيقاع زئبقٍ ۞ أثبُتُ بين فخذيَّ أستدفئُ العدمَ ۞ الحيوان لا يُرحّبُ بيده ۞ الأشياء نقائضٌ تحتدم ۞ تُهمتي خيانة الصّمت ۞ أنسجُ ۞

وجهٌ
يعللكُ ملامحَ نفسِه
بأضراس مرآته

وجهٌ
مَنْ يكشط جلدَه تنزفُ الخرافهْ
من يفرزُ الشكَّ في منديلِ عرّافهْ

وجهٌ
يجهل الحساب
مولَعٌ بالقسمةِ والضّربِ
وطرح الأجوبة المُطلقةِ القيمة

وجهٌ
بحرٌ في سرواله يبولْ
جُثّةٌ تحاضر عن الموتِ
في جامعة الذّهولْ

حجابٌ
جسرٌ بين ليلةٍ مَضَتْ
وليلة تأتي
محطّمٌ

نافذةٌ
مرآةٌ تُخلخلُ الفراغَ
حُبلى بكلّ ما لا يُرى

حجابان
يسأل واحدهما الآخرَ
أن يَقيه من شمسٍ تدورْ

خرافةٌ
بحرٌ والضّياع وطنٌ
حدودُد التّفتّت

تاريخٌ
شجرةٌ كونيّةٌ تنمو كالسّهم
نسْغُها صدأٌ
تنخرُها النّبوءاتُ
بمناقير الوهم

خوفٌ

داخل خيوطي

عشبٌ ينبشُ شَعرَ الصّخر.
لا يسأل كيف تمشّطُ تضاريسَ الأشياء
بمشط الرّيح

نظامٌ عالقٌ بين أسنان العبث
؟
أكتبُ ثم أكتبُ وأكتبُ... أتمزّق أتبعثر أعيد قراءَتي... لا أجد داخلي غير بُقعٍ تبعثرتْ هنا وهناك حول حروف صمتي.

هل تعرف الغابةُ إذا ما كانت الفصولُ روايتها
أم أن الغابة هي رواية الفصول؟
هل يعرف الحِبْرُ أنه يُتقن جميعَ اللُّغاتِ
ويجهلها في آنٍ معًا؟
ألاحقُ ظلّي بعيونٍ تتضفدعُ شهوةً.

أبحثُ عنه بأقدام تمساحٍ جائعٍ
أحاصرُ حوافَه المتحرشفة
أغوصُ في مُستنقعاته
أبحثُ
أوحِلُ
وحين أجده
أختفي

متاهةٌ أنا أحيكُ نفسي...

الخيط الخامس

لن يبق مكانه لن يرتوي

كان يصنع الآلهة ۞ يعجنُ لُهاثَها بمُخاط شيطان ۞ يخبز شمسَها في تنور صمته ۞ تطلّ من وجوهها سُمرتُه ۞ على أماراتها رائحة سرّه ۞ السّماءُ صخرةٌ تتعرّقُ ۞ ينجعُها ۞ يهبطُ ليلُه على فِراشِها ۞ يحقنها بعفنِ الزّمان ۞ تنطق: "نبيٌّ ضيّعه قومُه" ۞ كان أبي ناقوسًا معلّقًا على كنائس الرّقاب ۞ تعطشُ تحلبُ لها السّماء ۞ كؤوسُنا عيونٌ الحلمُ تجاعيدٌ تلفّها ۞ الضفادعُ تعرُج ۞ الضوء شريدٌ عائدٌ ۞ موْثُونٌ يتقيّأ رأسَه ۞ الآتي يبتعد ۞ الجحيمُ يبدأ من العيون ۞ يحفرُ ذاكرةً في التّيه ۞ يسقط في فُوّهة الضّمير ۞ الكلامُ ذنَبُ الأرض ۞ الصّمتُ بوصلة ۞ ينقش في الذاكرة حُلُمًا ۞ يُصيّرُ الأزمنةَ فراشَه وينهض ۞ وحده الخجل حِصنه ۞ النزيف علامة حياة ۞ ها هو الآن يسير في نومٍ لا ينتهي ۞ لكنّه يسير ۞ لن يبق مكانه ۞ لن يرتو ۞

وجهٌ
على أهبة الغناء
بلغة الهباء

وجهٌ
يُحجِمُ عن التّنغيم
في حضرة الجحيم

وجهٌ
يدخُل الكونُ في فيهِ
يخرجُ من دُبره
إبرًا تجرّ خيوطًا من فِكَرْ

وجهٌ
يُتقنُ جميعَ لغات الصّمت
ولهجاته

حجابٌ
جيشٌ يقرع طبولَ النّهار
بعصا النوم

نافذةٌ
أصابعُها الرّيحُ
تُداعبُ صدرَ حُلُمٍ يمتدُّ نَفقًا
اسمه الكون

حجابان
غريبٌ مُعتدي يُخاصرُ أخًا طاغيهْ
من يُعلّم العتمةِ اللّغةَ الآتيهْ؟

خُرافةٌ
الزّمن إلهُ صحوتي
يموتُ حين أغفو
لكنّه يحلم

تاريخٌ
ضجيج ولادةٍ
في قاع أوقيانوس يطفحُ بالعتم
تُخصِبُ الآتي في عقائد حِمْضٍ
تزرعها في أمعاءِ الوقت

خوفٌ

خُرافة الإصغاء في تاريخ الصّمت

الصّمتُ خارج العتمة. الصّمتُ خارج النور.
لا هنا يكون ولا هناك. لكنّه العبورْ.
إنّه الفرقُ بين الفروق. جسدٌ يعتريه العُريُ. يتشتّتُ. يحترقُ في معبد الحبِّ
والآلهةُ بثُورْ
الصّمتُ فعلٌ. مضى عليه الوقتُ أو ربما يجيءُ في انفجار ذرّةٍ أو لحظةِ صِدْقٍ
تحفرُ عند الجذورْ.

[نجمتي أنتِ لكنني لا أعبدُ هذي النّجومْ
كيف أجتازُني إليكِ؟ كيف حولَك أحومْ؟
ها شَفَةُ الله تدلّت فاصعدي إليّ كي يقدر
الإله أن يدوم
الصّمتُ شَرْطِي، وانفصامي، لأحيا العُبورْ

إليكِ. إليّ.
والحبُّ يقلبُ جمودَ الأرضِ
ينكشفُ الفضاءُ عليَّ.

أنا الإله فلا تموتي كي لا يردّكِ الموتُ إليّ
ألا فاصْغي إلى رفّة الفَراشِ، في الصّمتِ،
تُبعثُ سِمفونيّهْ.

ينتظر الصّمتُ هناك
خارج نفسِه
قدومَه إليه
فألمَّ بمُجرياتِ الكلام.

حين يفقد البحرُ ذاكرة الموج

استقراءٌ لمستقبلٍ لا يجيء

أنهضُ مع الموج ولا أنام.
تهشّمت رُفوفُ الذاكرة. تشوّش الهديل. الطريق تسبحُ داخلي. أغرقُ في الآتي. ينشلُّ حمام.

مجمرتي بيتي ولا أحترق. هل يئجّ من لا ينطفئ او يحاورُ اللّهيبَ خطوطَ كفّه في المنام؟

في العيون حبْلٌ والجنينُ أعمى. أنكشِفُ أنبضُ. أروَّضُ أنقرضُ. لا عُيون إلاّ صمت العيون.

إغماضَتي حِصني. وأنام.

لا ذاكرة للموج فلا يعود. البحرُ مكانه. بعد هِياجٍ البحرُ مكانه والشّاطئ يضحكُ رُغم تقشُّر الجروح.

أغنيتي ومضَةٌ في العيْنِ فلا صوت. يَفْقِسُ الصُّراخُ يُوصْوِصُ الموت. في اللغة إنزيمٌ يُشبه الطّبلَ.

أضعُ صباحي فوق جمر صمتي وأشربُ قهوة العُمر. أحكي قصتي للرائحة. أنتزع جلدي. أخبئ ها العصرَ في انتظار ذاك العصر. وأطوي بقايا روحي. ألفّها حول الخصر. أمشي بلا حراكٍ أو ذاكرةٍ كالموج ينقلُ هذا الفجرَ إلى ذاك الفجر. أغلق أبوابي وشبابيكي. أقطعُ رأسي. أبتلعه. أخرج إلى الشوارع منتصرًا. يؤيّدني نزيفي والنّهر.

أضرّجُ عينيّ بالصّمتِ وأبتلعُ قاموسَ أمّي. أغتصِبُ ولادتي كي لا أموت، أو أتأسطرُ في بطن حوت. أغرسُ أدرانَ ذاكرتي في حوضِ الآتي. أستنهضُها في تابوت. كيف لا أستصرخ الصّمتَ وحنجرتي بوّابةٌ لطائراتٍ تُخصي، من عَلْيائها، حُلمَ عنكبوت!

لا لن يموت "هو" و "أنا" لن أموت. أيذوبُ ذاك الجليدُ أو يُصبح وطنًا دافئًا لذلك الحوت؟

الموجُ بريدُ البحر. الشطآنُ عنوانه الوحيد. الأفق رسائله. أعشقُ المشيَ على الرّمال أستقرئ الآتي.

حين يفقد البحر ذاكرةَ الموجِ. حين يستخرج النّعامُ عِبْرةَ النّور.
حين تقضم أظافرَ الأرضِ شمسٌ تدورْ.
أنهضُ.
توشوشني الصّحوةُ.
الخوفُ نهرٌ قطعَ رأسَه بيده اليُمنى
وأسلَمَهُ لليُسرى
فصار بحرًا يَقْشِرُ دواملَ الصّخورْ.

حين الضّجرُ أنجبَ الحضارةَ
همسَ الخوفُ في
أذُنيّ:
أعلّمها كيف تختلُّ
أعلّمها
كيف تثورْ.

الخيط السادس

عشتار الحرّيّة

للبراكين رياضيّاتها كما للكلمات الإلكترونيّة عديدة الخلايا ۞ تضحكُ النّساءُ بإيعازٍ من الدُّمى ۞ هورمون الوقت ما زال نائمًا ۞ Imperialism ۞ عصْرٌ بأربعٍ وأربعين رجلٍ كلّ خطوةٍ موت ۞ كتابُ رسالاتٍ مُغلَقٍ على جميع الجهات ۞ شهوة الحرب فضاءٌ ۞ الغيمُ لعابُ الغياب ۞ للبراكين رياضيّاتها لكنّها لا تجيد الحساب ۞ تحلّقُ المسافات ۞ Imperialism ۞ امرأةٌ من الصّخرِ المُنتَصب تدّعي الحريّة ۞ في يدها شُعلة الوقت ۞ على جبينها كُتبَ: "إن الله قادرٌ على أن يُخرجَ من هذه الحجارة أبناء لإبراهيم" ۞ للبراكين رياضيّاتها لكنّها لا تجيد الحساب ۞ وفي يدها شُعلة الوقت ۞ تلمس نارَها تجدها رطبةً ۞ تجرّبُ عصرَها يصرخُ الجسدُ الصّلبُ: "أنا أعمّدكم في الماء من أجل التوبة، وأما الذي يأتي بعدي فهو أقوى مني [...] إنه سيُعمّدكم في الرّوح القُدس والنار. بيدهِ المذرى يُنقّي بيدرَهُ فيجمع قمحَهُ في الأهراء، وأما التّبنُ فيحرقه بنارٍ لا تُطفأ" ۞ أخرجْتُ منديلي مسحْتُ عرقَ الكلامِ لملمْتُ رائحةَ الذّكرى ۞ قفز منديلي من يدي نشبَ في أصابعي كالشّعلة قال اقرأ ۞ "نارٌ ظهرتْ في العربِ فافتُتِنوا بها، وكانت تنتقلُ، وكادت العربُ تتمجّسُ [...] فأخذ (نبيٌّ ضيّعه قومُه) هراوةً وشدّ عليها وهو يقول: "بدا بدا، كلّ هُدى، مودّةٌ إلى الله الأعلى، لأدخُلَنَّها وهي تتلظّى، ولأخْرُجَنَّ منها وهي تتندّى، فأطفأها" ۞ Imperialism ۞ خارطةٌ محفورةٌ على حجارة الوقتِ في انتظار أبناء الحجارة ۞ Imperialism ۞ وقيل أنّ النّارَ اختراعٌ غيّر وجه التاريخ ۞ وقيل أن سَدُومَ حُرِقَتْ بالكبريت والنّار وبقيّة أسلحة الدّمار الشّامل ۞ للبراكين رياضيّاتها لكنّها لا تجيد الحساب ۞ تحلّقُ المسافات ۞ Imperialism ۞ الإلهُ قِفْلٌ مفتاحُه كتابٌ في علم النّفس وواحة من العَرَق ۞

صمتٌ ۞ عصرٌ بأربعٍ وأربعين رجلٍ كلّ خُطوةٍ جدار ۞ مذ حفر الإنسانُ أولَ كلمةٍ على حجرٍ صار التاريخ حجرًا ۞ الهواءُ سجنٌ ۞ أدمغةٌ مُستنقعاتٌ ۞ رؤى ضفادع ۞ سلاسل الحديدِ لغةُ الاتّصالِ الوحيدة بين البشر ۞ تصاعد الرّنين وعلى إيقاعه شُيِّدَتْ قُصُورُ العبيد ۞ وكان عصرٌ جديد ۞ غاب الذي عمّد الأرضَ بماء الأردن ۞ بطَلُ الهندِ الجائع رمادٌ ۞ عشتارُ الحريّة تعود بزيّها الحجريّ وصدرها الشّهيّ ۞ تقبضُ بيدها على نارٍ تُعرفُ بالغضب ۞ امرأةٌ من الصّخرِ المنتصب تحلُبُ الرّجالَ والخيولَ والشّهوةَ ۞ العصرُ عصرُ جنون ۞

وجهٌ
يعبِقُ بالأبخرةِ والتّمائم والدّعوات
أين فيه أماراتُ البشر؟

وجهٌ
وليمةٌ تبحثُ عن أسرار الرّكوع
في أطعمة الجوع

وجهٌ
عقارب بلا ساعات
رملٌ ينزفُ رملًا
الفراغُ صراطٌ مُستقيم

وجهٌ
غيمةٌ تحومُ
تبحثُ في بريد الصّحراء عن رسائل
يكتبها المطر

حجابٌ
زاويةٌ في قُبّة الآتي
قوسٌ مُغلَقٌ في حلقِ اللُّغات

نافذةٌ
قميصٌ مفتوحٌ على جميع الجهات
ما عدا الصّدر
الفراغُ يستوطنُ صِفرًا مُكعّبًا

حجابان
يتهامسان داخل كهْفٍ
بلغةِ تكرارٍ قاموسها الصّدى

خُرافةٌ
آلهةٌ من قنابل مؤقّتهْ
يُفجّرُها الخوفُ

تاريخٌ
مصنعٌ للعبيدِ والكائناتِ المُرعِبة
يسفُدُ العذارى يُطلِقُ أبناءَها أنبياء
يستبدلُ حروفَ الحريّةِ بأبجديّة الحرب
كيف صار الإلهُ ذَكرًا
والتاريخُ تاريخَ رُعب!

خوفٌ

في البدءِ كان الخوف

ينهض الجسدُ يفرُكُ عينيْهِ بأصابع الفجر المَرْخِيّة
ينقشِعُ الحلمُ تَمضي النّوافذُ في جولةٍ مع الضّوء

يضعُ أنفاسَهُ على حافّةِ الكونِ العَرِقِ
يعبثُ بأوراقِ اللّغةِ الآتية من نهارٍ لم يطلع بعد
يحتسي القهوة يسكبُ رائحتَها في حبره الجديد

ينهض الجسدُ يقتلعُ التّاريخَ المتطحلب فوق صخور الخُرافة
يزرع مكانَه النُّجومَ وأبجديّةَ الصّمت

الخوفُ صخرةٌ يبني عليها التاريخُ سقوطَهُ
الأجراسُ طواحين هواء
الصّدى غُبارٌ يعمي الأبصار
هل من جدارٍ يخترقه
هل من قِطارْ؟

يحمله إليه ليرتاحَ فوق رصيف نفسِه
وينامْ

الصّمتُ مُعجزةٌ
لماذا إذًا تهبطُ الآلهةُ إلى هاوية الكلامْ؟

في البدءِ كان الخوفُ
فعلى الخليقة السّلامْ

الخيطُ السّابع

قُبلةٌ لدجلة من الفُرات

غبارٌ يُعانقُ السّماء ۞ المُعجزةُ في كلمة "المعجزة" ۞ هورمون الوقت ما زال نائمًا ۞ الجنونُ دائرةٌ تبحثُ عن مركزها ۞ الوقتُ خليّةٌ سريّةٌ في أدمغة الحلم ۞ شهوةُ الحربِ فضاءٌ الغيمُ لُعاب ۞ للبراكين رياضيّاتها لكنها لا تجيدُ الحساب ۞ الحلم أفعى تائهة ۞ الكون فِراشُ عذراء ترتّبُ نجومَ الليل ۞ العتمةُ فَراشةٌ حُبلى ۞ الجنينُ شيطانٌ يضحك ۞

من يكشفُ للضّوءِ مخابئَ الوَحْيِ؟
من يصنعُ للآلهةِ مرآةً تُحاكيها؟
كيف يعشقُ الفُراتُ دجلةَ غير دجلة؟

العصرُ عصرُ جنونْ
آلهةٌ جديدةٌ تُنزِلُ وحيًا دُبِّبَتْ أطرافُه وحُشِيَتْ
بآيات اليورانيوم وسُور الكبريت.
لا فرق بين دِمَشْقَ وبَغدادَ
لا فرقَ بين أسوانَ وتكريتْ
العصرُ عصر جنونْ

تنتفضُ قُبورٌ ۞ ليت الآلهة نيّئةً ۞ موائد الطّوطم ترهّلت ۞ الجنونُ دائرةٌ تبحثُ عن مركزها ۞ رحمُ الفراشة ثُقبٌ أسود ۞ اللهُ دالّةٌ بمجهولَيْن ۞ شيطانٌ يبكي شيطانٌ يضحكُ ۞ الغزاةُ يعتصرون غيمًا ۞ الأرض تألفُ رائحةَ أصحابها ۞ الغُزاةُ يحلُمون إلى الوراء ۞ أحدبٌ يأكل بيضهُ يقْشِرُ عُريَه ۞

العصرُ عصرُ جنونْ
"في العراق ألف أفعى تشربُ الرّحيقَ
من زهرةٍ يربُّها الفراتُ بالنّدى
وأسمعُ الصّدى
يرنُّ في الخليج"
صمتٌ يحرسُ أبجديّته في لغة الضّجيج
والعصرُ عصر جنونْ

حقيقةٌ مخاطٌ يتدلّى من أنف المُستقبل ۞ دماءٌ تجهلُ اللّغات ۞ إلهٌ يقبض على الكلامِ بيدٍ ۞ يده الأخرى تستدفئ جيوبَ الغيب تعتنقُها ۞ تخثّرت خلايا الدماء ۞ الوقتُ خليّةٌ تتجوّلُ في أدمغة الحلم ۞ شهوةُ الحربِ مهنةُ الدّود الأزليّة ۞ القبر وطن الجميع ۞ جيشُ خرائط في كفِّ عرّافهْ ۞ الدّماءُ مادّة الكتابة الوحيدة في أرض الفتوحات ۞
كيف تشقُّ الأوساخُ دُروبَها إلى أدمغة البشر؟

ضلَّ وجهي خيوطَ هوائي
وهجرت عُيوني ملامحَ السّنينْ
كأن تاريخي موطنُ ريشةٍ
تتخبّطُ في مهبِّ العابرينْ

حقيقةٌ كونٌ ۞ ساعةٌ بلا عقارب ۞ زمنٌ قيد مصيره ۞ حريّة امرأةٍ بألف شارب ۞ كلّ شيء يتفسّخ موتًا ليَحيى خارجًا ۞ يغلي حلُمٌ ۞ تتقطّرُ الحقائقُ في إنبيق

الاحتمالات ۞ يولدُ إلهٌ يموتُ إله ۞ لي موعدٌ مع الزمن المضيء ۞ الزمن الذي لا يجيء ۞ يولد إلهٌ يموتُ إله ۞ عادةٌ سريّةٌ ۞ لعابٌ في طقوس الشّهوة يتسلطن والعصرُ عصر جوع ۞

إدمان
عقلٌ يصنعُ المفاتيحَ لا ليُحلّقَ لكن
ليسجُنَ الأكوانْ
أرضٌ غُيومُها أقفالْ
في كتابٍ
يجهلُ صيغةَ السؤالْ

هـ ذ ا ء ۞ لغة الوجود ۞ الفوقُ كائنٌ مُطمئنٌّ ۞ حاضرٌ إلى أمسِهِ يعودْ ۞ الصُّدفةُ ۞ وحدها الصُّدفة خالقٌ ۞ النظام هامشٌ ۞
من يفصلُ الرّيحَ عن هبُوبِها؟
من يُعقلنُ الموجَ ليفهم مزاجيّة البحر؟
من يُحصي الحَصى؟

من يرتّبُ السّرخسيّات نجوم الفضا؟
من يُقنع خالقَ المجرّات بأن لا يشتُم بدويًّا يقبع في الصحراء؟
كلّ ما ينمو يسقط ۞ الخريف أول باحثٍ في علوم الكيمياء ۞

وجهٌ
يلحسُ دماغَه بألسنة لهبٍ
تتدلّى من محجريْه
يعلكُ نُسْغَ نظراته ويبصقُ نفسَه

وجهٌ
أنفٌ ينفثُ النّارَ في أذنيْه
دورانٌ أعمى

وجهٌ
نارٌ تنشبُ في عروقِه
والتُّرابُ لا يخترع
التّرابُ جَدٌّ يحضِنُ أحفادَه

وجهٌ
قُبلةُ الناظر للمنظور طالتْ
صيّرت الرّوحَ مادّةً تُشيرُ إلى ما قبل النّظر

حجابٌ
بحرٌ يبتلع جُزرَه
أرخبيلٌ يستعدّ لأن يصبح قارّة

نافذةٌ
تُكنِسُ السّماء كلّ صباح
هكذا تعلّمت لغةَ الغبار

حجابان
شاطئٌ يبعثُ بالموج إلى شاطئ
في انتظار جواب
انغلاقٌ إذ ينفُخ الصّدى في بوقِه

خرافةٌ
غابةٌ من الكلمات
تحاصرُ نارًا اسمها الحقيقة

خرافةٌ
غابةٌ من الكلمات
تحاصرُ نارًا اسمها الحقيقة
بأيّ نورٍ تقرأ الغاباتُ حروفَ أعشابٍ
تكتمُها الظّلال؟

تاريخٌ
أسئلةٌ خارج الكتاب
سماءٌ دائمة الحضور

خوفٌ

حلم

غيبوبتي ورشتي. أعمل بدقّةٍ. أطوي أكمامَ النوم. ألتهمُ الليلَ. أعجنُ نُخاعَ صيرورتي بمصل حُلُم. أتفتّحُ داخلي أستقبلُ الضّوءَ أخوضُ مع الكيمياء في حوارٍ مفتوحٍ على الجهات وأغسلُ الكون.
ربما ينفجرُ الكونُ، يومًا، في جسدي!
ربما تَعْبقُ الأجواءُ بتجرُبتي

[... من يرعى الطّحالبَ الأليفةَ
من يُخاصمُ السّتيرَ
والآلهةَ الذئبيّةَ والوحوشَ السّناطير
جاهلًا سِفْرَ التّحوّلاتِ ولغةَ أوفيد الكيميائيّة!

غيبوبتي ورشتي. هكذا أنسجُ خيوطي.
أُقلِّمُ أظافرَ النّجوم. أبصُقها إلى جوفي.

هكذا أصنع سلامي مع السّماء.

تتمأذنُ الأرضُ
التاريخُ مغارةٌ بابُها نسيجُ خُرافة.
بعيدًا عن جزيرة أدونيس الملوّنة واختلاطات آناكزاكوريس البَدْئيّة.
تتمأذنُ الأرضُ.
تغزو الفضاءَ بومةٌ تختنقُ الموســـــــيقى.

أوطانٌ تلملمها المنافي.
الأرضُ جوعٌ والربُّ حافي.

صمتٌ : جنونٍ = الزّمن

خالقٌ يرسمُ الذّاكرةَ بفُرشاة النِّسيان
لو تعرف الحقيقةُ منابعها لتوقّفت عن الجريان

جنونٌ * الزّمن = صمت

دخلتُ إلى مغارة التاريخ صرختُ: "يا نفسُ تقدّمي" ... ...
... ... رجع الصّدى: "يا نفسُ تروّضي" ... ...

تتمأذنُ الأرضُ. تتمجرَسُ. جدارٌ يُخاصرُ الجدار.

أسير فوق خيوطي. أبحثُ مع الدّربِ عن دروبي. حين أفقدُ صوابي أخرج يديّ
من جيوبي. أحُكُّ جبينَ الشّمسِ
وأرفو
ثوبَ فجري
بخيطان غروبي.

غيبوبتي ورشتي. لكلّ خُرافةٍ تاريخ. لكلّ تاريخٍ خرافهْ.
كتابٌ يضربُ الوهمَ برماح الحروف
ويُرضعُ
بحبر الكلماتِ خِرافَهْ
إنبيقٌ يقطرُ في وعاءِ الزَّمنِ أسرارَ كيميائه
صار حِصنًا لعرّافَهْ

خيطٌ خارج النَسيج

حفرياتٌ في مدائن الجنون

أرتكي على حافّةِ الشّمسِ والأرضُ كبريتْ
لا شيء غير الجنون يتقدّمُني. لا ظِلّ لي
كأن الكونَ ملجأُ حُلُمٍ
يستشرفُ الآتي
في كفِّ عفريتْ

آلهةٌ تعزو خلايا الوقت
أجراثيم تتناقلُها أمعاءُ المعابد
ترعاها في محاجر
على صورةِ بَشَرْ!
أأشلاء تتكوكبُ تستنفرُ الفضاءَ تُطلِقُ للسّماءِ جنونَها
تغفو
في ثَنِيَّةِ حجرْ!

أرتكي على حافّة الشّمسِ والأرضُ كبريتْ
من هنا يبدأ تاريخُ جنوني

منذ استُبدل رُعبُ الجنون الطّليقِ بقلق المسؤوليّة المُنغلق
ومنذ تبنّت غاباتُ الحضارةِ لغةَ الحطّابين
ومنذ ابتلعت مدائنُ الصّمتِ جدرانَ الكتابة، وحشرتْ خوفَها في الشّرايينْ
صارت الأخلاقُ سيّدًا يبزّ اعترافاتنا ويسجد في رحم الألوهةِ المُعتم
والأفقُ جنينْ

[... ... ... كيف صار الحقُّ طبيبًا وجنونًا واستلابا؟
كيف صار الحاكمُ بأمر الله أداةَ تسلُّطٍ، لا أداة معرفهْ؟
كيف صار الله ذكرًا مخصيًّا بعد أن أرضَعَ البداياتِ كلّها حليبَ عشتار
وأفروديتَ
وإيزيسَ
وعنات؟

... ... كان الأفق وكانت الحياة
لأن الفيزياء لا تعرف قانون الثّبات
لا
ولا تعتنق السّرابْ
كما تجهل السّماءُ مُتعةَ النّباتِ ينمو بعون التُّرابْ

أرتكي على حافّة الشّمسِ والأرضُ كبريتْ
الثّقبُ الأسودُ آتٍ والانفجارْ
الجوعُ يعجنُ خرافةَ الموتِ
وأكذوبة الانتصارْ

قولوا للأرض إنني وجدتُ سُرعةَ الهُروبِ من
جاذبيّة النهارْ
قولوا للفراغ إنني عائدٌ
قالوا: ما الدّليلُ؟
قلتُ: حينَ أعودُ
يعْوَجُّ الفراغُ
يُدركُ الإلهُ أنه جدارْ
فلا يصلُ الأفقُ إليَّ ولا
أنا إلى الأفقِ أصلُ
كلّ بعثٍ هو، في كُنهه، انتحارْ
البدايةُ قوسٌ والتاريخُ سَهمٌ
شمسُنا أبراجُ سنابل
تعلّمها الرّيحُ السّيْرَ إلى الوراء
والسّجود
والانحناء

الوقتُ عتمة حلمٍ مُريح

فكوني

شَمسَنا

أبجديّةَ القمحِ

كوني البدايةَ

كوني الرّيحْ

حرّرواالماءَ من كيميائها والبُنطِيُّ من لعبةِ اغتسالِه:

الحُثثُ ممضوغَةٌ والدّربُ رصفتْها السّنابكُ وحشتها بالنُّخاعِ المكبوسِ بالخلّ والفاجعة. النّساءُ الحبإلى استوطنت شهوةَ الموتِ وأرخت عظامَها الشّمسُ. امتهنَ عارُنا المحوَ وليس من يمحيه

فهل تتذكّرُ المجدليّةُ عشيقَها حين تجلسُ فوق نخلةٍ وتُضاجع الأفقَ؟

هل تتذكّرُ الأمُّ لغةَ النّسيجِ حين تُلملمُ مِزَقَ طفلِها؟

...

كيف يقرأ الرّجالُ خارطةَ الضّياع في أرضٍ تغتصبُها السّماء ويسفدُها الإله؟

[... ... ها هنا فتحةٌ في جسدي فادخلي وأغلقي الماضي... ... ...

أرتكي على حافّة الشّمسِ والأرضُ كبريتْ
كلّما فرُغتْ حرّيتي صنعتُ قفصًا وربضْتُ
فوقَ بياضي
تفقِسُ الفكرةُ يُوَصْوِصُ الآتي

عاريةٌ هذه الدُّنيا والأفقُ ريشهْ
هُوّةٌ أرضي والزّمانُ
وأنا ظلّ عريشهْ
يُحيكُ نارَ الأبدِ
يرتِقُ رُفاتَ الحياة

لا صراع لي إلا مع نفسي
أحفرُ في جنوني
أكتشفُ خارطةَ شراييني
أنتصرُ على نفسي
هكذا أنهزمُ كلّ يوم

[... ... ... وقال اصرفْني، لأنه قد طلع الفجرُ". فقال يعقوب: "لا أصرفك أو تباركني". فقال له: "ما اسمكَ؟" قال: "يعقوب" قال: "لا يكون اسمك يعقوب فيما بعد، بل إسرائيل، لأنك صارعتَ اللهَ والناسَ فغلبْت... ... ...

(سفر التكوين، 32،29.27)

ما هذا الزّمان؟
أوسّعُ نُسغي ولا يعرفني البحرُ
أزحفُ وتجهلني الظلالُ
أتمسّحُ فيُنكرني العَرَقُ ويشكوني إلى التّعبِ
أقولُ: الآتي هو ابني
أنتصرُ على نفسي فأنهزم
أتابع التلذُّذَ بالحفرِ في جنوني.
يصيرُ الغبارُ أبجديّةَ والسّحرُ الدّفينُ لغةً.
أتململُ تحت تراب الكلمات
هكذا يعشوشبُ الشِّعرُ
هكذا يُزهِرُ العقلُ فوقَ قبور الصّمت
هكذا يحبلُ البَقْلُ بغابات شوقِنا...

[... ... أنظرُ من خُرم الأمل الباقي أرى الآتي
في الفِراشِ يُضاجع أمي...
فهل يُعلّمني لغةَ اللا-زمان هذا الدّهرُ؟

كأنّ الأرض لا تعرف خطانا
كأنّها تدورُ بحثًا عن هَوانا

أرتكي على حافّةِ الشّمسِ والأرضُ كبريتْ

"... ولما أشرقتِ الشّمسُ على الأرض، ودخل لوطٌ صوعر. وأمطر الربُّ على سَدوم وعمورة كبريتًا ونارًا من السّموات، وقلب تلك المدن وكلّ السّهل وجميع سكّان المدنِ ونبات الأرض. فاتفتَتْ امرأةُ لوط إلى ورائها فصارت نَصبَ ملح.

فبكّر ابراهيمُ إلى المكان الذي وقف فيه أمام الربّ، وتطلّع إلى جهة سدوم وعمورة وأرض السّهل كلّها ونظر، فإذا دخان الأرض صاعدٌ كدخان الأتون".

(سفر التكوين، 19،28.24)

الوحيُ حبرُ الله.

الأفقُ ريشة.

الرّمالُ جوقةٌ تقودُها العاصفة المُشوّشَة

وأنا فكرةٌ علِقَتْ في ثنايا نجمةٍ ونجَتْ

حيث لا خلاص لكنّها ارتأت:

العاصفةُ هي الآخر، والهاوية ليست بيننا. الهُوّةُ فينا، فاغلقوا الهُبوبَ ودجّنوا القُوّةَ. اقتلعوا شوكَ الحضارةِ وروّضوا الربَّ...

تعالوا نسدّ السّماءَ ونُمطرُ مِنّا إليْنا... ...

ها طروادة تعود إلينا في شكل عمامهْ.
ها هي ليزيستراتا تُعلنُ ندَمَها تُضاجعُ الموتَ في فِراشِنا
ظُهرًا... ...

[حين تضحك تحبسُ أصابعها في جيوبنا، فتعترينا
اللّذّةُ ونلوذُ بها... ...

أرتكي على حافةِ الشّمسِ
تطفحُ الحقيقةُ
تفرُغُ الشّعوبُ من روابطها.

[تعرفُ أمّي طعم الحليب الذي أحبّه تحفظهُ لأبي
تنأى عن الفلسفة وروائح الطوطم... ...

كلّ محاولاتي للقبض على الإله باءت بالنّجاح
... ...
ما زلتُ أسعى... ...

: أنا حقيقةٌ تُكذِّبُ نفسَها بحثًا عن حوارْ.
: العالمُ هو كلّ لحظةٍ بدايةٌ جديدة.
: الوعيُ هو الفعلُ حين يملك القُدرة على الاختيار.

أرتكي على حافةِ الشّمسِ والأرضُ كبريتْ
أوثَقوا الرّيْبَ يملؤني طفحتُ ثورةً وانسكبتُ
في العدم

من يحاورُ الجدارَ غير لهيبي؟ من يحتمي بعَرَقي؟ من يكتبُ آية الصّمتِ عِوَضي؟ من يمحوني وأنا المُنسَكِبُ في قلمي؟ ... ...

... وأنا الرّافضُ أن أجعلَ من أفقي طبلًا يهزّ أحياء الصّمت
لأنّ الصّمتَ رحمُ غدي
وأنا الرّافضُ أن أجعلَ من حزني مئذنةً ومن غضبي حوارًا يسترُ ضَعفي... ... ...

قالوا: نُحاور!
قلتُ: أهلًا بالنار البعيدةْ. أهلًا بالدّفء يتدثّرني. أهلًا بقاتلي القادم ولا أرى قُدومَه بعد... ... وأخرجْتُ من أمعائي المتفحِّمةِ أبجديّتي. جهّزتُ نبرتي المتأنيّة. ارتدّت عليّ الحُروفُ صواريخ صواريخ... ... ...

كيف أحاورُ قاتلي وأنا المذبوحُ والشّاهدُ الوحيدُ على الذّبحِ فوق مائدة التّاريخ؟

أرتكي على حافةِ الشّمسِ والأرضُ كبريتْ
أجالسُ الصَّمتَ. أخاصِرُهُ، وأرتُقُ الضّوء.
أغوصُ في ثُقبِ نملة وأطالعُ الغدَ...
أنسجُ حِصنيَ مُعتنقًا وَهْنَ العناكب،
أطرّزُ صمتي فوق الجباهْ
هكذا تسمو قضيّتي،
هكذا، من عليائها، تُودّعُ الإلهْ
...
لا سبيل بعد الآن يؤدّي إلينا سوى درس النّملة:

لستُ شاعراً لأصنعَ من الموت قصيدةً لوطنٍ يُحاصرني
من أسفله إلى غده...
لستُ شاعراً لأثأرَ من أفُقٍ معدنيٍّ بالكلمهْ...
لستُ نبيّاً لأتباهى بعصا تشقُّ الضّياعَ إلى ضياعيْن،
وأحيي الموتى ليموتوا مرّتيْن،
أو أحاربَ بشراً،
هُمُ أعَدُّوا لإلهي اللغةَ والأبجديّهْ...

لستُ إلهاً، ولا أشتهي،
أن أختنقَ في هيكل بؤسٍ،

فوق تلّةٍ،
وأفتعلُ قضيّة!

قضيّتي يا إخوتي تعرفها النّملةُ: قضيّةٌ شخصيّهْ
لكنّها كالبذرة، حينَ أموتُ تصعدُ،
تُشاكسُ الجاذبيّهْ

وجهٌ

بلونِ الرّغيفْ

الجوعُ مملكةٌ تحفرُ جُرحَها خندقًا حولَها

صمتٌ يقرأ الأرضَ في كتابٍ عُنوانُه الزّيفْ

وجهٌ

طريقٌ بين النّدى والشّرارْ

حجرٌ ينمو

رعشةٌ صيَّرَها الزّمنُ إعصارْ

وجهٌ

مومياءٌ ترعى الرّمالَ

في واحةٍ اسمُها الغَيْبْ

وجهٌ

فُتاتُ طوطم طعمُ قبائلْ

الأرضُ طقوسٌ مُتحرّكهْ

حجابٌ

أذنٌ لا ترى عينٌ لا تسمع

الغربُ ∞ الشّرقُ

أرَأْسٌ هذا الذي أرى أم مؤخّرهْ؟

ما الفرقُ؟

نافذةٌ

سمفونيّةُ تجريحْ

ثُقبٌ في نايٍ تغتصبه الرّيحْ

حجابان

يلتقيان

حين تُفرغُ الرّيحُ سلال هبوبها

وترحل

خرافةٌ

الزمنُ إلهٌ أحيا فيه

يموتُ حين يغفو على خدّي التُّرابُ

الإله رحلةٌ

تبدأ من سائل يُقذَفُ

تنتهي حين يعتنق جسدي الخرابُ

تاريخٌ

سهمٌ

يضربُ قاعَ أوقيانوس يطفحُ بالعتْمِ

يستنْزفُ الطّحالبَ عقائد حِمْضِيَّة

تتآكلُ في أمعاء الوقت

خوفٌ

لأن التاريخ لم يبدأ بعد

لأن التاريخ لم يبدأ سقطتْ في عيني مجرّةٌ لم تولد بعدْ

يصيرُ المجهولُ خيوطي
أنسجُ منه مجهولًا آخر وقُبّعةً للرّعدْ

أستمع إليّ وأنا في البُعدِ. أضعُ في التُّرابِ عينيّ وأنبشُ الموتَ حكايا شعوبٍ قديمة. أزرعُ خصيتيّ في ثُقبِ الكونِ وأنتظرُ الآتي من صمتٍ يُضيءُ من صمتٍ ينفعل...

[... ... بعد السؤال سؤالٌ. ليس ما أكتبُه شِعرًا... وفي الغدِ هو شيءٌ آخر...

ها هو الآتي (آتينا) يأتي من الأسفل. أفكّر في العلاقة بين الوجه والجسد. مأساةٌ ألا تكون هناك أيّة مُفارقة.

أتدثّرُ الوقتَ وجسدي الجهاتُ:
سماءٌ تغرزُ في عينيّ مخالبها

مغارةٌ تُكدِّسُ جُثّتي في أمعاء دودةٍ
تعصرها
تصُبُّها ميراثًا في نهود الأمّهات

أجلسُ في حقْوِ غيمةٍ
بومةٌ تُنبئُ فوقَ كتفي
ترتقُ خيوطَ كفّي

نجمةٌ تُبطئُ
مدارٌ يتمزّقُ
وما زال الوقتُ عباءَتي

أتحسّسُ الجُدرانَ في أمعاء الوهم:
آلهةٌ كَمْئِيّةٌ أبواغٌ تنتفخُ
عُفونةٌ تبيضَ طحالب تُفَرّخُ

أتدثّر الوقتَ أحدِّقُ في المنام:
نجمةٌ تتكوكبُ حلمٌ يعشوشبُ
أوقيانوس يتململ في شبكة عينٍ
يشدُّ الشاطئ نحو الشاطئ
يُغمضُ وينامْ

أعلكُ الموجَ أسمعُ بين الشّطآن تعاويذ
أبصقُ البحرَ أقلِّبُ الرّمال
إلهٌ من غير تلاميذ
لا شاطئ للخيال

أتدثّرُ عباءةَ الوقتِ وأراقبُ زحفَ البحار:
خليّةٌ تتأنْسَنُ على هامش أممٍ تنهارْ
تنعقُ نجومٌ بَرْ-سمائيّة
تغوصُ في مُستنقعات صمتٍ صُوّانيّة
تقفزُ في أفقٍ ينقبض
تُسابق الانتظار

من غير وجوه

حجابٌ
لا فرقَ بين المؤخّرة والمراغم
في أرضٍ تجرُّها غريزةُ الولائم

نافذةٌ
عمياء
أرملت حصيرَ حجرتِها بأصابع الشمس
هكذا علّمت عماءَها لغةَ اللّمس

حجابان
طبلٌ دَرْدارُه وجدارْ
وحده الصّدى في مرايا الصّدى
يُجري حوارْ

خرافةٌ
تُعشعشُ في سُرّةِ الوجود
آلهةٌ تذهبُ آلهةٌ تعودْ
والقيامةُ
هل من قيامةٍ وِسط هذا السّجود؟

تاريخٌ
آلهةٌ تذبح الآلهة
والضحيّةُ بشرٌ